# جوانب من التأثيرات الثقافية للفينيقين في غربي البحر الأبيض المتوسط

أ/ قوعيش شريف*

**-الملخص:**

حسب الدراسات القديمة والحديثة يرجع أول اتصال فينيقي بغربي البحر الأبيض المتوسط إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، من تأسيس لأقدم مستوطنات تجارية في شرقي البحر الأبيض المتوسط إلى غربه كمستوطنة مالطا وصقلية وقبرص في الشرق وليكسوس في الساحل المغربي الأطلسي، وأوتيكا في الساحل التونسي حاليا ومستوطنة قرطاجة، وقادس بشبه الجزيرة الايبيرية، كما ترك الفينيقيون بصمات تاريخية وتأثيرات جذرية في مجتمعات الواقعة غربي البحر الأبيض المتوسط، منها التأثيرات الدينية واللغوية والمتمثلة في إدخال معبودات وطقوس دينية جديدة بإضافة إلى رموز عقائدية، وفيما يخص اللغة فقد امتزج الأصل الليبي اللغوي مع اللغة الفينيقية الهجائية لتظهر في الأفق ما يسمى باللغة والكتابة البونية.

**Abstract:**

According to ancient and modern studies due first Phoenicia contact Western Mediterranean to the end of the second millennium BC, from the founding of the oldest commercial settlements in the eastern Mediterranean to the west of a settlement Malta and Sicily and Cyprus in the Middle and Lexus in the Moroccan Atlantic coast, and Utica in Tunisian coast now and the settlement of Carthage, and Cadiz peninsula Iberian, also left the Phoenicians historical fingerprints and the effects of a radical in communities west of the Mediterranean, including religious and linguistic influences and Deities the introduction of deities new religious and ritual added to the ideological symbols, and in terms of the language has been mixed with the Libyan original language with language Phoenician alphabet to appear on the horizon so-called Punic language and writing.

* - طالب دكتوراه بقسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران1، الجزائر.

**مقدمة:**

إن التأثيرات الفينيقية كانت قوية على مجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط على المستوى الديني والاعتقاد والطقوس،لاسيما إدخال معبودات دينية، وقبل الحديث عن هذا التأثير يجدر بنا الإشارة إلى نوعية المعتقد الديني عند الشعوب الليبية القديمة والشعوب الإيبيرية قبل مجيء الفينيقيين، فقد وضح لنا (ستيفان غزال) أن الإنسان المغاربي القديم قد مارس أولى معتقداته في فترات ما قبل التاريخ[1] واستعمل القبور لدفن موتاه ومارس طقوسا جنائزية لم تكن معروفة في بدايتها خاصة مدافن الايبيرو- مغاربة في كل من "أفالوبوريمال" بالجزائر و"تافورالت" بالمغرب الأقصى وهذا في فترة العصر الباليوليتي اللاحق (Epipaléolithique)، أما في العصر الحجري الحديث (Néolithique) أضحت مظاهر المعتقد تظهر بصفة واضحة خاصة في بقايا مقابر كولومناطة"(Columnata) بقرب من تيارت وكذا رمادية (رشقون)[2].

ومع مرور الزمن بدأ المغاربة القدماء يعتنون بدفن موتاهم خاصة في أرضية الكهوف والمغارات باستعمال ميزة جديدة في الدفن وهي تعرية الجثة من اللحم وترميد الميت (l'incinération) واستعمال المغرة الحمراء (l'ocre-rouge) التي يقصد طلي جسم الإنسان ويلون بها[3]، خاصة على جمجمته وهذا ما عثر عليه في "الداموس الأحمر" بالقرب من تبسة و"كهف العقاب" بتونس[4]، وهذا دليل على إهتمام بالشعائر الجنائزية وإحتضان الميت وتوفير له الحاجيات لضمان الرحلة نحو العالم الاخر[5]، بإضافة الى دفن الإنسان المغاربي القديم موتاه فيما يسمى ب "الحوانيت"(Les Haouanet) وهي عبارة عن مقابر صخرية شكلها شكل الدكان مفتوحة في الخارج تحتوي على رسومات بسيطة مثل حانوت (قلعة السنان- Kalaat Essanan) و(جبل زيت- Djebel-zit)،و(بوحجارBou-Hadjar) بالطارف وحوانيت شمال شرق تبسة[6] (الملحق 1).

وبعد أن دفن الإنسان موتاه في أرضية بدأت تظهر أصناف جديدة من المدافن والمقابر تدعى بالمقابر الميجاليتية[7] أهمها الدفن بتيملوس (Tumulus)

وهي تتكون من بناء مخروطي الشكل يغطي حفرة الدفن التي تتكون من ركام كبير من التربة والحجارة وهي ذات قاعدة دائرية يتراوح قطرها من 5 إلى 150 متر، وهو كذلك تكديس بسيط للحجارة وذات أشكال مختلفة وهي ثلاث أنواع، التيملوس الخالي من الغرفة الجنائزية، وآخر يحتوي على غرفة الدفن، والثالث يضم تابوت حجري، نذكر منها تيملوس تونس (قابس، جبل تباقة، قفصة)، وتيملوس بالمغرب الأقصى (وجدة، أرفود، كودية الماء، فم أرجم)[8]، وتيملوس (سفيان- Sefiane) بالقرب من (نقاوس- Négaous)، وعين الصفراء وعين كرمال شمال بوسعادة، وبوغار وتلاغ[9].

كما يوجد نوع آخر من الدفن في المقابر وهي البازيناس(Bazinas) من نماذج المدافن الحجرية تعلوها بنايات مستديرة الشكل منها المقببة والأسطوانية والمتعددة القبور والمدرجة والمتطورة نذكر منها البازيناس قفصة (تونس)،وجبل مستيري (الجزائر)،وسوق القور (المغرب)[10].(الملحق 2).

وقد قدم الإنسان المغاربي القديم قرابين لألهته خاصة القرابين الحيوانية كالثور والكبش وهذا ما عثر عليه من عظام وأسنان الحيوانات في عديد من المعالم الجنائزية[11]، كما كان يقدس المظاهر الطبيعية والدليل ما وجد في الرسوم الصخرية مثل مشهد يبين تقديس الشمس في (تيسوكاي) بتاسيلي ناجر بالجزائر[12] وما عثر عليه في رسوم ونقوش لأبقار وثيران في الصحراء الليبية تحمل بين قرونها دائرة يعلوها رمز قرص الشمس[13] وهذا ما يشير إليه (هيرودوت - Hérodote) عندما يقول "تقدم القرابين للشمس والقمر من قبل جميع الليبيين ما عدا المقيمين منهم في جوار بحيرة تريتانوس"[14]، وعليه يتبين لنا أن المعتقد الديني لدى سكان غربي البحر الأبيض المتوسط وخاصة منطقة المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين كان يعرف بالطوطمية [15]«Totémisme».

وقد جلب الفينيقيون معبوداتهم إلى المغرب القديم، وأقاموا لها معابد وأدخلوا عدة مظاهر جديدة في المعتقد الديني، والطقوس، والعادات،

والتقاليد، كما اعتقدوا بوجود حياة ثانية بعد الموت فأضافوا إلى جثة الميت أدوات خاصة تميزت بالبساطة كالأدوات المنزلية من أواني فخارية والمصابيح الزيتية وحتى الإبر والدبابيس[16] ومن أهم المعبودات الفينيقية التي عبدت في غربي البحر الأبيض المتوسط نجد ما يلي:

**- بعل:**

ويقصد به الرب، المالك، السيد، الزوج، وهو معبود الطقس الشبيه في صفاته بمعبود (مردوخ)[17] وكذلك معبود الحبوب والموفر القوت وهو ابن المعبود داجون، حيث لقب بعدة ألقاب في النصوص الأوغاريتية نذكر منها "ألين" (العظمة والقوة)، "ذيل" (الأمير) "جمر"، "هدد" (الطقس)[18] وقد أصبح (بعل) معبود الكنعانيين والفينيقيين ويلعب دور بارز في الحضارة السامية الشرقية أو العربية، أما علاقته بغربي البحر الأبيض المتوسط كانت قوية ومتجذرة في المعتقد الشعوب القديمة للمنطقة، ولم يبقى الإسم محافظا على نوعيته بل تغير نتيجة الإمتزاج الديني، فأصبح يدعى بمعبود "بعل حمون" « Baal-Hammon »وكلمة "حمون" إختلف حولها المؤرخون في تفسيرها، فنجد "غزال" يفسرها نسبة إلى جبال "أمانوس" فيدعى بإله "أمانوس"[19]، لكن يوجد إفتراض آخر قد أشار إليه "محمد حسين فنطر" بأن لفظة "حمون" تفسر على أنها "نار الجمر" أو "المبخرة" بمعنى إله النار، ويضيف كذلك "محمد حسين فنطر" على أن "حمون" مشتقة من لفظة "حمانيم" « Hammanim »وتعني"عطر البخور" وهو نفس الإسم الذي ثبت على نوع "حمان"( Hamman ) [20].

وقد عرفت عبادة (بعل حمون) إنتشارا واسعا في غربي البحر الأبيض المتوسط، فقد ظهر إسمه في قرطاجة منذ القرن 7 ق.م، وفي مالطا خلال القرنين 7و6 ق.م، وفي (موتي) بصقلية في النصف الثاني من القرن 6 ق.م[21]، والدليل على ذلك وجدت عدة نقائش في قرطاجة وبصفة العامة في العالم البوني تحمل دلالة هذا الإسم في صيغة "$B^{C}L$" (بعل) و"HMN" (حمون) في نفس النقيشة، ومن أهم المواقع التي عثر فيها هذه الصيغ نجد (حضرموت-

Hadrumète) و(تيبورزوق-Téboursouk) و(مكتار- Maktar)و (ميديدي -Mididi) و(بولاريجيا - Bulla regia)، أما في الجزائر وجدت توفاة معبد الحفرة (سرتا-Cirta) بقسنطينة، وبليبيا وجدت توفاة (صبراته-Sabrata) [22] .

كما ظهرت عدة معبودات كلها عبدت في غربي البحر الأبيض المتوسط وتحمل اسم (بعل) نذكر منها: "بعل شميم" (سيد السماوات)، و"بعل صفون" (سيد الشمال)، و"بعل أدير" (وجد بمعبد الحفرة قسنطينة)[23].

**- تانيت: (Tanit)**

وهي من أحد المعبودات الفينيقية الرئيسية التي لعبت دور بارز في الديانة الكنعانية، وقد أشار "خزعل الماجدي" أن اسم "تانيت" أصله من معبودة "عناة" معبودة الحب والجمال السومرية وملكة السماء، وتحور هذا الإسم وأصبح يدعى بـ"تانيت" عند سكان بلاد المغرب القديم لأن البربر (أي الليبيون القدماء) يؤنثون الإسم بتاء متقدمة، ولذلك يتحول الإسم من (إناتا) إلى"تاناتا" أو "تانيت"، وقد جلبها الفينقيون إلى غربي البحر الأبيض المتوسط في الألف الثاني ق.م، وكانت القرين الدائم لمعبود "بعل حمون"، فهي تمثل آلهة الأمومة، والخصوبة عند المغاربة القدماء خاصة عندما يظهر مجسمها في سيدة تحمل طفلا بين ذراعيها وعلى حضنها[24]، ويشير الباحث"روزنفال"سنة 1910 لأسماء مواقع لبنانية تحمل إسم "تانيت" منها"عين تانيت"،"عنق تانيت"،"كفرتانيت"، ورد إسمها في نقيشة رسمت على قنديل من البرونز بمتحف بيروت سنة 1940 م، أما في العالم البوني كانت عبادتها أكثر من الشرق الفينيقي خاصة في قرطاجة (اللوحة رقم 32)، وصقلية وسر دينيا، ومن خلال مجسد معبد الحفرة بقسنطينة يتبين أن "تانيت" كانت زوجة معبود "بعل"[25]، وحسب التنقيبات والدراسات الحديثة التي أجراها (شارل بيكار) و(بارترانديي) أنه لوحظ وجود نفس إشارات والعلامات إلهة "تانيت" في كل من موقعي معبد الحفرة وحضر موت كما لوحظ وجود صورة حيوان الكبش وعنقود من العنب كلاهما يصطحبان معبود"بعل حمون" برفقة مجموعة من الطيور والأسماك[26]، وربما كانت

هذه الإشارات دالة على خصوبة المنطقة ولا شك في ذلك كان الإنسان المغاربي القديم يكن لإلهة "تانيت" كل الاحترام والتقدير والتقديس فهي تبارك له في العيش والسعادة اليومية وفق معتقداته وميوله الشخصية.

- **عشترت(Astarte):**

وهي من أهم المعبودات الفينيقية الكنعانية كانت لها شهرة واسعة في وسط الشعوب البحر الأبيض المتوسط، وحسب الأساطير القديمة فإن "عشترت" أو "عشتار" زوجة المعبود الأب "إيل" ووردت في التوراة بصيغة الجمع "عشتروت" وهي آلهة الحب والإخصاب والربيع وسيدة الحب الإباحي، وعرفت بعديد من الالقاب مثل"سيدة السماء" و"سيدة المعبودات"و"الأم" و"آيلة" و"إيلاتو"[27] وكما ارتبطت بين الحرب والصيد[28] وقد كانت معبودة "عشترت" واسعة الانتشار خاصة في صور وصيدا وجبيل[29] وهذا ما أشارت إليه النقوش والآثار المادية، هذا بالنسبة للساحل الفينيقي، أما بالنسبة لعالم البحر الأبيض المتوسط، فقد عمل البحارة الفينيقيون على نشر عبادة "عشترت" بمختلف الجهات الغربية للبحر الأبيض المتوسط خاصة في صقلية وقرطاجة[30]، وكذلك شبه جزيرة إيبيريا، فهذه الأخيرة كانت حاضرة بشكل قوي وواسع ودليل على ذلك ما عثر عليه من نقوش أحدهما مهدى لعشتروت: "هذا التمثال مهدى لعشتروت من الأخوين (بعلياتون)و(عبوبعل)، أبناء "داميلك" كاهني وسيط الوحي "، وكذلك قد أورد (أفيانوس- Avien )على وجود عبادة "عشترت" في ضواحي (قادس- Cadix)، مسميا إياها "عشتروت" فينوس البحرية[31] كما وجدت شواهد لعبادة هذه المعبودات في مدينة "سيكسي"[32].

أما في بلاد المغرب القديم فقد زينت معبودة "عشترت" على تابوت خشبي بمدينة كركوان التونسية[33] وكذلك في مناطق عديدة في الجزائر خاصة بالغرب، وليبيا وحتى بلاد المغرب الأقصى حاليا.

**▪ ملقرت(Melqarth)[34]:**

ونجدها كذلك بصيغة "ملكرت" وهو في الأصل معبودا شمسيا عند الفينيقيين، وشبيه بمعبود "هرقليس" (هرقل)، فعادة يقترن المعبودان في مرتبة دينية واحدة[35]، ويمثل معبود "ملقرط"رمز من رموز الذكورة المتمثلة في السماء والشمس والنهار[36]كما ارتبط بالمعبودات الخيرة التي توفر الحماية والرعاية للمتعبدين[37] وقد انتشرت عبادته بين المدن الفينيقية خاصة مدينة صور، وبالنسبة للجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط فنجد آثار عبادة "معبود ملقرط" قد إنتشرت بشكل واسع، ففي مدينة (قادس- Cadex)[38]بني للمعبود معبد خاص منذ القرن الثاني عشر ق.م[39] وأصبح معبودا أساسيا في مدينة قرطاجة، قدمت له أضاحي بشرية من الأطفال الصغار تحت إسم " مولوخ" أو "مولك" كما بقيت قرطاجة تقدم مكوسا هامة لمعبده الأساسي في مدينة صور.[40]

**▪ معبودات فينيقية أخرى:**

انتقلت معبودات فينيقية أخرى إلى غربي البحر الأبيض المتوسط خاصة بلاد المغرب القديم نذكر منها المعبود (رشف - rasheph) الفينيقي معبود البرق والضوء، و"بعل شامين" معبود السموات و"أدون" معبود الزراعة والطبيعة[41]، و"عناة" (عينات) معبودة الحب والجمال وهي رفيقة "بعل" وزوجته وأخته[42]، و"أشمون" معبود الطب والصحة الذي شيد له معبد في بيرصة[43] (Byrsa) (بتونس).

أما بالنسبة لمعتقدات ما بعد الموت هي كذلك أخذت حيزا واسعا عند شعوب غربي البحر الأبيض المتوسط، فقد تأثر سكان بلاد المغرب القديم أثناء الفترة الفينيقية البونية بعقيدة ما بعد الموت كباقي شعوب الحضارات القديمة، وكشفت المعطيات الأثرية والأدبية على وجود مدينة الأموات تدعى " بالروفييم" مدينة العالم الآخر، فمثلا وجدت هذه المدينة مرسومة على جدران غرفة جنائزية بجبل "مليزة" بتونس، ومنقوشه باللغة البونية – اللاتينية على ضريح"بلعمروني"بتونس، وكان إعتقاد الفينيقيين والبونيين

مبني على أن الجسد تسكنه روحان الأولى نباتية تدعى بالنفيش (nefesh) والثانية روحانية تدعى بالرواح[44] (Rouah) وهكذا يتم تجهيز الميت في غرفة جنائزية وتصطحب معه أغراض مادية لاعتقاد أن الروح الإنسان تمر إلى عالم آخر وهو كذل ما يعتقده الفينيقيون في شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة وأن المعبودات الدينية التي عبدت ببلاد المغرب القديم هي نفسها التي عبدت بشبه الجزيرة الايبيرية. (الملحق 3).

**4- اللغة والكتابة:**

لم يترك الفينيقيون مجالا وقد أثروا فيه، إذ عرف المجال اللغوي تأثيرا واضحا في أوساط سكان بلاد المغرب القديم وشبه الجزيرة الإيبيرية من حيث اللغة والكتابة، وهناك تساؤلات عديدة حول هذا الموضوع وطرحت إشكالية مضمونها أنه كيف كان واقع اللغة والكتابة قبل مجيء الفينقيين؟ وما هي دلالتها ورموزها؟ وتأثيرات الفينيقية فيها ؟.

ولمعرفة محتوى هذا الموضوع ارتأيت أن أقسمه إلى مرحلتين:

**أ- اللغة:**

لقد كان لسكان بلاد المغرب القديم لغة خاصة بهم قبل وجود الفينيقيين في المنطقة وتدعى باللغة الليبية القديمة أو اللغة اللوبية وقد أطلق الباحثون على هذه اللغة بتلك الأصوات التي تداولها المجتمع المغاربي القديم منذ الألف الأولى ق.م، أي منذ وجود هذا المجتمع في صورته القبلية البسيطة التي جسدتها الوثائق المصرية في قبائل "التحنو" و"التمحو" ثم "المشوش"و"الليبو"، وقد اتضحت معالم تلك اللغة في مرحلة حكم أسرة "شيشنق"، وكما تكلمت بها تلك القبائل المنتشرة على طول الساحل والتي جمعتها علاقات تجارية مع الفينيقيين[45].

وعن خصوصية هذه اللغة فمعالمها غير واضحة وغامضة لكن من سياق الحديث لبعض مؤرخي القدماء أمثالهم "هيرودوت" الذي لم يشر إلى أية إشارة للغة الليبية القديمة لكن أعطى لنا صورة تعبر عن الاتصال الرمزي

بين الفينيقيين وسكان بلاد المغرب القديم من خلال ذلك النص حول المساومة في عملية الشراء والبيع عن طريق المقايضة[46]، وهنا لم يقصد بأن اللوبيون لم تكن لهم أية لغة متداولة بل ربما لصعوبة التواصل معها، أما عن المؤرخ "قزال" أشار إلى لغة متداولة بين سكان اللوبيون من خلال حديثه عن رئيس قبيلة لوبية يدعى بـ"هيرباص" عندما باع للملكة الفينيقية "أليسا" قطعة أرض حوالي القرن 9 ق.م[47]، فالظاهر أن عملية البيع والشراء قد تمت بين طرفين وتبادلا الحديث والإتصال فيما بينهم، وهذا ما يدل على وجود رمز لغوي كان شفهيا أو كتابيا؟

وبما أن اللغة الليبية القديمة كانت مجهولة المعالم، فإنها طرحت عدة إشكاليات كانت محل تناقض المؤرخين، فلهذا نجد "محمد حسين فنطر" كان قد طرح إشكالية على الصيغة التالية: هل كانت للقبائل اللوبية والشعوب المغاربية وحدة لغوية؟ فيجيب أن اللهجة الأمازيغية[48] التي تم رصدها في الربوع المغاربية (أي بلاد المغرب القديم) تفوق المائة كلها فروع لجذع واحد تمثله اللغة اللوبية (الليبية القديمة)، فمنها لغة القبائل، وأخرى لغة "النوميديين" و"الموريين"، ولهجة رعايا "صفاقس وماسينيسا وبوغرطة"، فقد كانوا يحسنون كتاباتها بشهادة النقائش التي عثر عليها في مختلف الأقطار المغاربية القديمة ونشرت في مدونة من طرف القس "ج.ب. شابو" في باريس سنة 1940 م، ويضيف "محمد حسين فنطر" أن رغم الإختلافات في بعض العلاقات في اللغة الليبية القديمة وتفاوت معاجمها، فهي تكون وحدة لغوية منها لوبية شرقية وأخرى لوبية غربية[49]، وعن تواجد اللغة الفينيقية[50] في بلاد المغرب القديم وبشكل عام غربي البحر الأبيض المتوسط ففي البداية كانت اللغة محدودة الإنتشار وهي متداولة في الشريط الساحلي اللبناني وجنوب سوريا، ثم انتشرت بواسطة التجار والمعمرين الفينيقيين إبتداءا من القرن 9 ق.م في آسيا الوسطى وفلسطين قديما، وامتدت غربا إلى مصر، وقبرص[51]، وجزر بحر إيج، اليونان، ومالطا، وصقلية، وسردينيا، وجنوب إسبانيا، وشمال إفريقيا، وهذه الأخيرة أدخلت عليها بعض التغييرات

إبتداءا من القرن الرابع ق.م، فأصبحت لغة محلية تسمى باللغة البونيقية (البونية)، واستمرت هذه اللغة في شمال إفريقيا وفي الغرب الفينيقي حتى بعد سقوط قرطاج عام 146 ق.م[52]، وقد تأثرت اللغة الفينيقية باللغة الليبية القديمة، فتميزت بخصائص عديدة كعدم وجود فواصل بين الكلمات مما يصعب قراءتها خاصة وعدم وجود نصوص أدبية كافية لدراسة هذه اللغة[53].

**ب)الكتابة:**

تعتبر الكتابة شاهد أثري على حضارة الإنسان في الفترة القديمة، لاسيما ذلك الجهد الفكري الحضاري والدخول في مرحلة جديدة تتميز بتنوير العقول وبناء حضارة الكتابة فبلاد المغرب القديم هي الأخرى عرفت نوعا من الكتابة اختلف المؤرخون حول أصولها وربما يرجع السبب إلى تنوع المصادر المادية (الأثرية) واختلاف في تأريخيتها، فمنهم من يرجع الكتابة إلى الأصول الفينيقية، وآخرون يرجعونها إلى أصول محلية، وهذا ما سوف نوضحه فيما يلي:

**1- الكتابة الليبية القديمة ذات أصول فينيقية:**

من أنصار هذا الإتجاه "أندري باسيه" (A. basset)[54] و"هنري باسيه" (H. Basset)[55] اللذان أرجعا أصل الكتابة الليبية القديمة (وتدعى كذلك بالليبية- البربرية) إلى الأبجدية الفينيقية[56] على أساس أبجدية "تيفيناغ" وفي هذا المجال يشير "أ.هانوتو(A .Hanoteau) إلى كلمة "تيفيناغ" التي يطلقها التوارق على كتابتهم، فهي تنطق في بعض الأحيان بالقاف بدلا من العين لتصبح "تيفينق" وجذر هذه الأخيرة "فنغ" أو "فنق" نفس أصول كلمة فينيقية، وعلى هذا الأساس ينسب أصل الكتابة الليبية القديمة إلى الفينيقيين وأن الليبيون القدماء قد إستعاروا أبجديتهم من شرق البحر الأبيض المتوسط، كذلك يذهب بعض المؤرخين أمثالهم (براس - Presse) إلى تدعيم هذا الاتجاه من خلال تقارب الحروف بين الكتابين من حيث الشكل والمنطق وعددها سبعة حروف[57]، أما المؤرخ "فيفريي" (février) فيعتمد على النطاق الجغرافي

للوجود الفينيقي في شمال إفريقيا وأن معظم النقوش الليبية القديمة المكتشفة لا يمكنها أن تكون أقدم من تاريخ مجيء الفينيقيين إلى شمال إفريقيا[58].

2- **الكتابة الليبية القديمة ذات أصول محلية:**

ومن أنصار هذا الاتجاه نجد "غزال" الذي يرجع الكتابة الليبية القديمة إلى ما قبل الوجود الفينيقي ويرتكز على نظرية الرسوم الصخرية وما وجد فيها من آثار لهذه الكتابة في كل من "كاف المكتوبة" (الجنوب الوهراني) و"خنقة الحجار" بقالمة، وكذلك بضواحي بسكرة[59] ويدعمه في ذلك (قابريال كامبس- G.Camps) عند ما أشار إلى الآثار اللوبيون القدماء في الفن الصخرى والفخار من خلال تلك الرسومات والاشارات[60]، ودعمت "مليكة حاشيد" هذا الموقف وأعطت لنا أدلة كتابية منقوشة على الصخور في منطقة "القصور" و"جدار الحمرة" بأولاد نايل بشرق الجزائر ومنطقة "تاسيلي ناجر" تدل على حروف التيفيناغ، وقد قسمت الكتابة الليبية القديمة إلى التيفيناغ القديمة، والحديثة التي تعود جذورها إلى قبل التاريخ[61] (اللوحة رقم 40 و41)، ويفسر "سالم شاكر" كلمة "تيفيناغ" على أنها ليست من أصل فينيقي بل هو رمز للإنسان "التارقي" فيقولون بلغتهم "kel- tefinagh" أي ينسب إلى وطنه الذي عاش فيه فهو الذي إخترع الكتابة، وبالتالي أصولها محلية واشتقت منها اللغة الحديثة (الأمازيغية) أو ما يعرف التيفيناغ الحديثة[62].

**3- الكتابة الليبية – الفينيقية:**

على ضوء عدم وجود أدلة قاطعة تثبت فينيقية أو ليبية الكتابة في بلاد المغرب القديم، ارتكزنا على ما عثر عليه من أثار مادية أبرزها نص "دوقة" (Dougga)[63] الأثري والذي يتكون من نصين، الأول يبين هوية الذي بنى الضريح (أتبان) والثاني يرمز إلى من ينسب هذا الضريح وهو "ماسينيسا" وإبنه "ماكيبسا" وأبوه "غايا" إضافة إلى القاضي "شوفاط" (Suffete) و(زيلالزن -Zilalsan)[64]، ويعتبر النص نموذج للكتابة الليبية الفينيقية، ومظهر من مظاهر التأثير الفينيقي على سكان بلاد المغرب القديم في مجال اللغة

والكتابة، ويعتبر نقش دوقة الثاني رمز ووثيقة مؤرخة بوجود الكتابة وإشارة لتمازج اللغوي، وانطلاقا من تأريخ النقيشة في حوالي 138ق.م[65] يتبين أن التأثير الفينيقي على مستوى الكتابة في بلاد المغرب القديم كان متأخرا مقارنة عند الشعوب الأخرى كاليونان مثلا[66].

وقد عرفت الكتابة الليبية في بلاد المغرب القديم تطورا ملحوظا في الشكل والعدد وذلك باحتكاكها بالكتابة البونية لهذا نجد النص الليبي (نقش دوقة) قد صنف ضمن النصوص الحديثة بدليل كتابتة بشكل أفقي عكس النصوص القديمة التي كتبت بشكل عمودي، كما إعتنى"ماسينيسا" بالكتابة وعزم على إنشاء أبجدية محلية انطلاقا من البداية، فظهرت أشكال جديدة في الكتابة وهي بأحرف بونية وبونية جديدة نقشت على عملات ملوك النوميد (سيفاقص وبوكوس الثاني)، وهكذا إنتشرت اللغة والكتابة البونية في أوساط المجتمع البوني- النوميدي وخاصة على مستوى الإدارة، كذلك نجد نص آخر بجبل مسوج (40كلم من دوقة) نقش بالكتابة البونية ويتضمن وضع الحدود في مملكة "مكيبسا"[67]، وهو شاهد آخر على التأثير الفينيقي البوني.

وفي هذا المجال نشر (جيون) سجل يضم مجموعة من النقوش البونية الليبية بمقاطعة قسنطينة وضواحيها المكتشفة سنة 1840م تجمع بين الكتابتين أهمها نقوش مدينة قالمة وتيبازة بالجزائر[68].( الملحق 4).

### 4- الكتابة الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا:

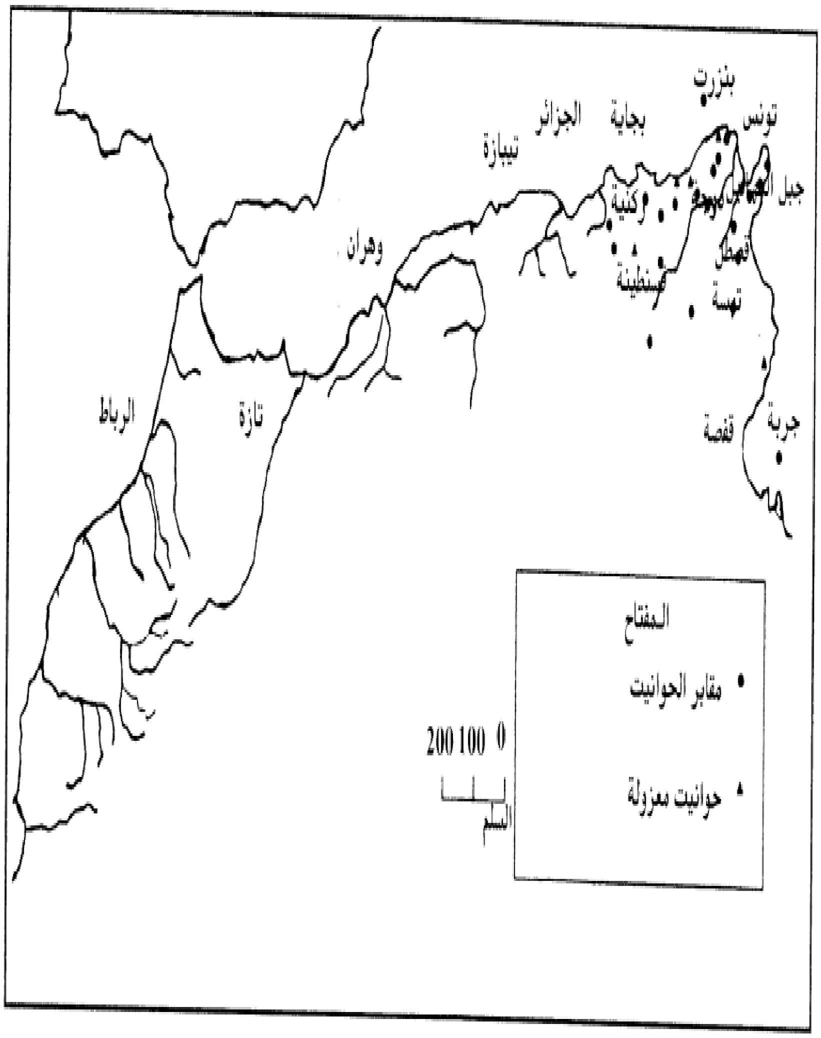
منطقة إسبانيا هي الأخرى تعرضت للتأثير الفينيقي في المجال الكتابة وتحويرها في كتابة جديدة قد أشار إليها "تسولي بركوفيتش" محدثا بأن الفينيقيين الإسبان (شبه جزيرة إيبيريا) استعملوا الكتابة والأبجدية الشرقية من خلال العثور على خمسة وعشرون نقيشة منها الإهداءات، ونقوش المباني، والأختام، أبرزها نقش محفور على قاعدة تمثال "عشتروت" في "كارامبولو" الإسبانية يعود زمنيا إلى القرنين السادس والسابع ق.م، كذلك

هناك نص مؤلف من سطرين محفور على القرص البيضوي لخاتم عثر عليه في أحد المدافن ب"قادس"، وكما اكتشف حديثا على ثلاثة نقوش بونية حديثة على إناء بمدينة بيتوس[69]، وكل هذه الآثار أشارت إلى تأثر الإيبيرين باللهجة الفينيقية ونظام الأبجدية الذي تألف من اثنان وعشرون حرفا مع إدخال بعض التغييرات في الحروف.

**خاتمة:**

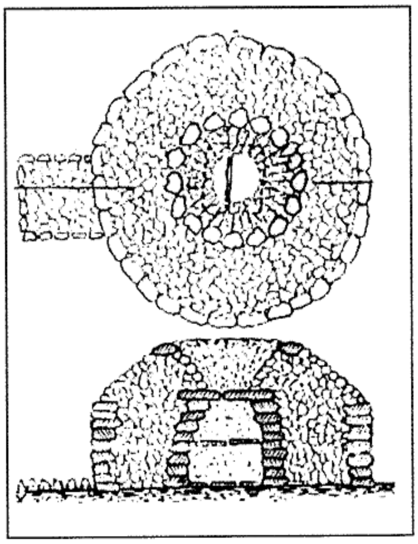
تبين من هذا الموضوع أن الفينيقيين كان لهم دور كبير في تغيير البنية الدينية واللغوية لمجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط، حيث أضحت مظاهر جديدة في المعتقدات الدينية بتقديس معبودات متنوعة مثل "تانيت"و"بعل" و"عشترت"، إضافة إلى تقديم طقوس كالقرابين البشرية والحيوانية والغذائية والاعتقاد بالعالم الآخر، كما امتزجت اللغة الليبية القديمة باللغة الفينيقية الأبجدية لتؤسس الكتابة البونية، التي أصبحت لغة المجتمع النوميدي فيما بعد، لكن هذا لا يدعي أن مجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط لم تؤثر على المجتمع الفينيقي، بل العلاقة التي كانت قائمة بينهما هي علاقة تأثير وتأثر.

**الملاحق:**

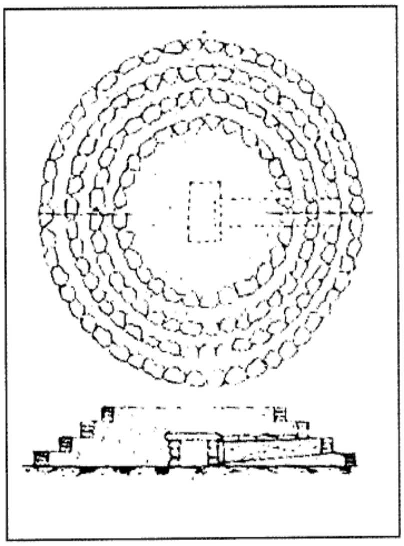



**الملحق 1:** خريطة توزيع الحوانيت في شمال إفريقيا

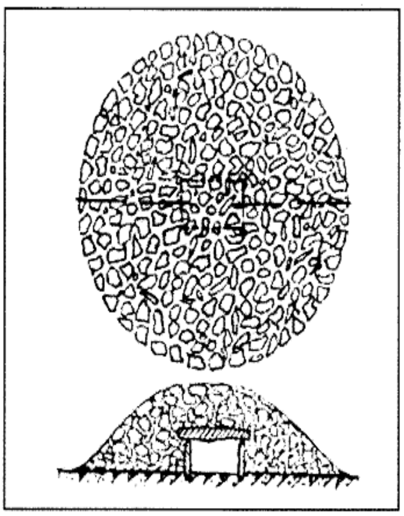
غانم محمد صغيروآخرون، المرجع السابق، ص120



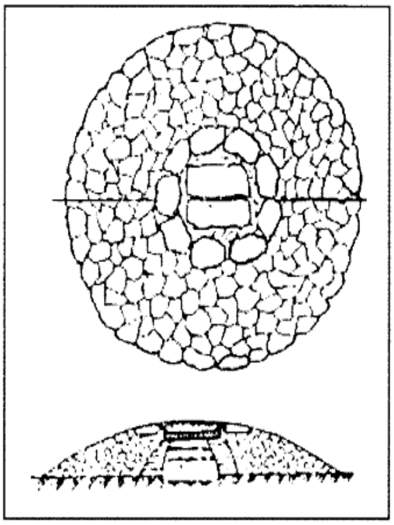
أ– بازيناس مقببة (عين الحمارة)



ب– بازيناس مدرجة (جبل مستيري)



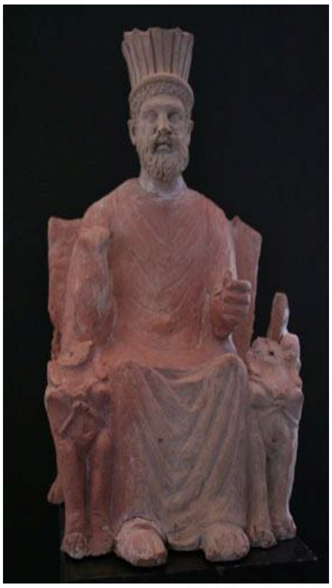
جــ– تيملوس أرفود



د– تيملوس بوغار

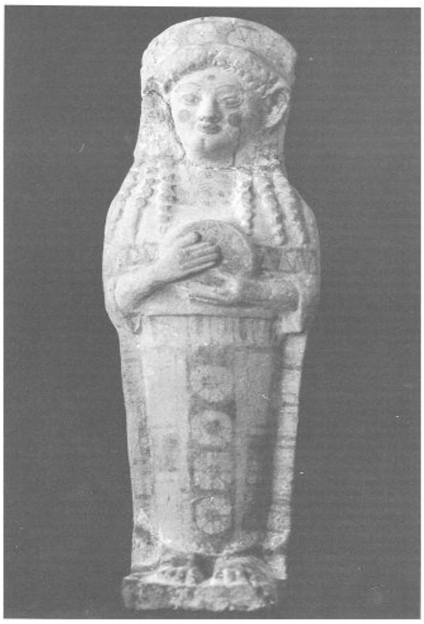
**الملحق 2:** أنواع مختلفة من البازيناس والتيملوس في شرق الجزائر

غانم محمد صغيروآخرون، المرجع السابق، صص32-38





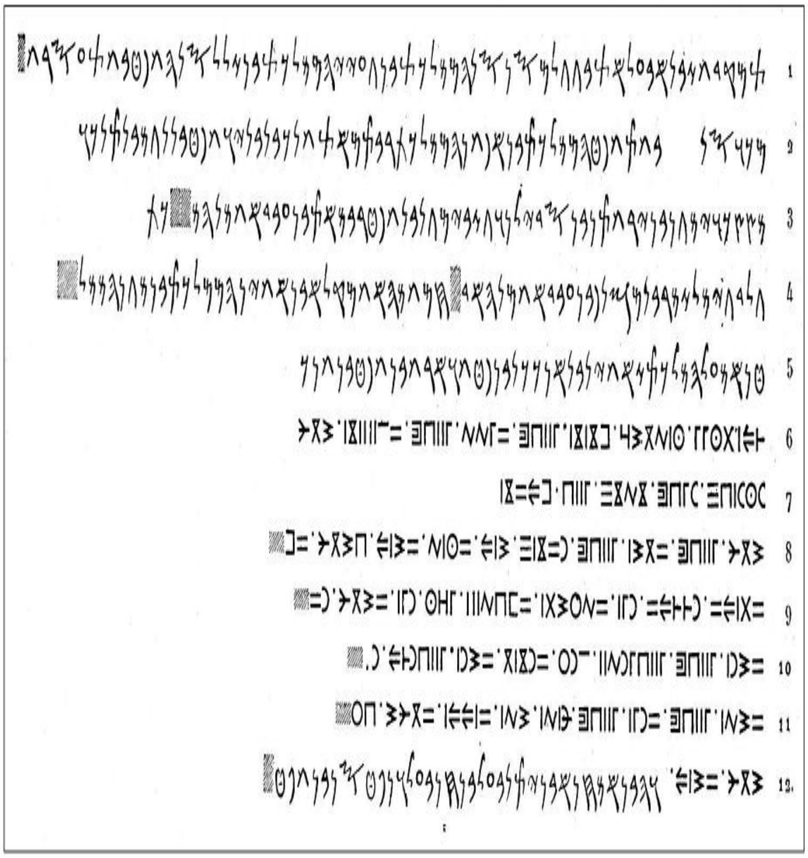
1



معبود بعل حمون معبودة تانيت معبودة عشترت

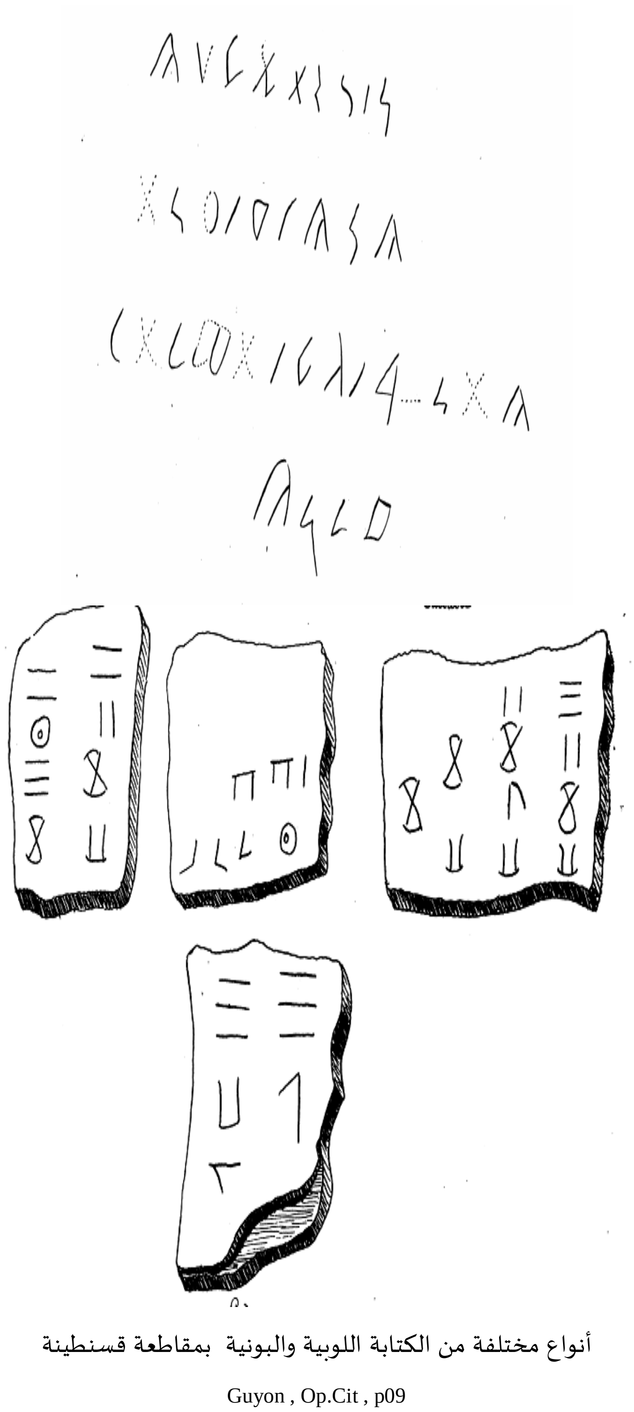
**الملحق 3:** متحف باردو بتونس

الملحق 4:



نص دوقة الأثري

Ghaki(M), Le Libye , R .T.A, ……..Op.Cit , p24



أنواع مختلفة من الكتابة اللوبية والبونية بمقاطعة قسنطينة

Guyon , Op.Cit , p09

**-الهوامش:**

1- Gsell (S), Histoire Ancien de l'Afrique du nord, T1, libraire hachette, paris, 1927.

2- غانم محمد صغير وآخرون،المعالم الحضارية في الشرق الجزائري "فترة فجر التاريخ"دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة-الجزائر،2006،ص09

3- Fantar(M.H) , Kerkouane , Encyclopédie berbère , V27, 2005 , pp4166-4175

4- غانم محمد صغير وآخرون،المرجع السابق،ص.10

5- بن عبد المؤمن محمد، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، السنة الجامعية 2011- 2012، صص79-80

6- Camps (G) ; Aux origines de la berbérie: Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie officielle, Libyca , TVIII , Alger,1960, pp98-111

7- المقابر الميجاليتية (nécropoles –mégalithiques): ميجاليت (Mégalithe) مصطلح إغريقي يتكون من شقين: ليتوس(Lithos) وتعني الحجم،ومغاس(mégas): وتعني الحجر بالمعنى (الحجم الكبير)،للمزيد ينظر:غانم محمد صغير وآخرون، المرجع نفسه، ص26

8- غانم محمد صغير وآخرون، المرجع السابق، صص28-34

9- بن عبد المومن ، المرجع السابق، ص83

10- نفسه، صص35-36

11- Camps(G) ,Op.Cit , pp508-509

12- بازمة مصطفى، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج1، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973، ص235

13- وجد بالجزائر "كبش بوعلام " ضمن الرسوم الصخرية وفوق رأسه قرص الشمس، للمزيد ينظر:
Gsell(S),Les Monument Antiques de l'Algérie, T1, Ancienne librairie des écoles Française d'Athènes et de Rome, Paris, 1901, p46.

14- Hérodote, Histoires, Tardieu par Larcher, charpentier, libraire éditeurs, Paris, 1856, IV,188

15- الطوطمية: معتقد ديني عند الأقوام البدائية، تمثل أساسا في الحيوانات والنباتات والجمادات أي عبادة الظواهر الطبيعية .للمزيد ينظر: سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، صص10-11

16- غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي – البوني في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص142

17 - خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، 2001، ص127

مردوخ: من أعظم وأقوى الالهة البابلية، وحسب الأساطير هو ابن الإله (أيا) و(دامكينا) ويمثل السحر والطب والحكمة، وقد اتخذ أشكال أغلبها شكل الحيوان . للمزيد ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة " دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين "، ط1، منشورات الأهلية، لبنان، 1998، ص316

18- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص127 وينظر: أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من رأس الشمرا، دار النهار للنشر، بيروت، 1980، ص43

19- Gsell (S), H.A.A.N ,T 3 , p279-282

20- Fantar(M.H), Baal Hammon , Reppal V, institut national d'archéologie et d'art, Tunisie, 1990, p71-72

21- الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والحكمة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، صص166-167

22- Fantar(M.H),Op.Cit.PP73-76.

23- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، صص165 -170

24- خزعل الماجدي، المرجع السابق، صص 181 - 183

25- الفرجاوي احمد، المرجع نفسه، صص193- 195

26- Liman (A), le génie de la fertilité dérivé du signe dit de Tanit: Filiation iconographique et symbolisme , Reppal XIII , institut national du patrimoine, Tunisie, 2004, pp150-151

27- خزعل الماجدي، المرجع السابق، صص115- 118، وينظر: جورج كونتنو، المرجع السابق، صص123 - 124

28- الشاذلي .ب. وطاهر .م، المرجع السابق، ص296

29- C.I.S , I ,T33

30- معن عرب، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1970، ص154

31- كان للبحر حسب إعتقاد الفينيقيين والبونيين وحتى الإغريق إلاها يسيطر عليه،وكانت هناك آلهة بحرية مثل فرس البحر،والأخطبوط العملاق،والقرع بن نمري (l'homo marinus) (حيوان أسطوري نصفه آدمي والنصف الآخر سمكة)، وكان البحر مقدسا عند المغاربة القدماء،للمزيد ينظر: غطيس مصطفى، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، ص3 ينظر: www.amrh.ma

32- يولي بركوفيتش تسولي، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، ترجمة يوسف أبي فاضل، بيروت، لبنان، 1987،صص 118- 124

33- بن عبد المؤمن محمد، المرجع السابق، ص 150

34- ملقرت: وجد هذا الاسم في الكتابات الفينيقية القديمة على شكل (MLQRT)، وفي اللغة الأكادية في صيغة (Mi-iL-qar-ti) ) (Mil-qar-te) واتخذ صيغته النهائية ب (Milk-qart)، وكما وجد في صيغ اخرى (milk) أو (milkasapa) و (ahmilki) وهكذا اختلفت الكتابات القديمة لهذا الإله، لكن ما يجمع في ذلك أنه يمثل (ملك المدينة) كما نقول "هرقل الصوري" للمزيد ينظر:
Lipinski ; Dieux et déesses de l'univers phéniciens et punique, Peeters, Leuven, paris, 1995, p227

وينظر:

Halévy (j) , Mélanges de critique et d'histoire relatif aux peuples sémitique Maisonneuve et Cie, Libraire-éditeur, Paris, 1883, p34.

35 -Rochette (P), Mémoires d'archéologie comparée (Asiatique, Grécque, Etrusque), Imprimerie nationale, Paris,1848, p15.

36- خير الله شوقي، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، دار الدراسات العلمية والمركز العلمي، ص140 1994

37- بورينة الشاذلي، محمد طاهر، قرطاج البونية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999، ص294

38- لم يعبد إله ملقرط في قادش فقط بل وجدت صور هرقليس ملقارط على نقود مدينة سيكسي وإبديرا. للمزيد ينظر: يولي بركوفيتش تسولي،المرجع السابق، ص118

39- نفسه،ص146

40- أبو محاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم "من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر"، ط1، دار النهضة العربية بيروت، 1984، ص145

41- المرجع نفسه، ص146

42- فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1985، ص312

43- فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب شام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص 114

44- بن عبد المؤمن محمد، المرجع السابق، ص 105 ص107

45- مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم " من عصر ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي "، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص325

46- Hérodote, VI , CXCVI .

47- Gsell (S) H.A.A.N,T1, p393

47- لفظة أمازيغ أطلقت على سكان شمال إفريقيا ويشير ابن خلدون أن البربر من نسل مازيغ فيقول إنهم من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ، وكلمة "أمازيغ" تنطق في صيغة المؤنث ب "تامزيغت"، وفي صيغة الجمع "أمازيغن" وتعني "الاحرار"، وهناك تشابه بين لفظة "أمازيغ" والتسميات التي اطلقها الإغريق والرومان والمصريين القدامى مثل المشواش، والماكسياس "Maxyes" و مازيكاس "Maziques" و"مازيساس "Mazices" . للمزيد ينظر: فرحاتي فتيحة، نوميديا " من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني "، الحياة السياسية والحضارية( 213ق.م – 46 ق.م )، مطبعة متيجة، منشورات أبيك، 2007،ص34

48- محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، العدد 12، المعهد الوطني للتراث، تونس،2002، صص57-58.

49- اللغة الفينيقية هي لغة سامية تصنف ضمن اللغات السامية القديمة، وهي لغة الكنعانيين أجداد الفينيقيين، واللهجات السامية ثلاث أنواع: السامية الشمالية الغربية(الفينيقية – العبرية – الآرامية – والعمونية– المؤابية – والايدومية )، السامية الشرقية (الأكادية – الأشورية – البابلية )، السامية الجنوبية العربية . للمزيد ينظر:

Harden(D), The pheonicians , Thames and Hudson , London, 1963, p115-116

50- لوحظ وجود أثار فينيقية في قبرص تحمل "إله رشف"Rashaf، للمزيد ينظر:

Lacau(P), l'inscriptions phénicienne de chypre, BIFAO , 02 ,Le Caire ,1902,PP207-211

51- عبد الحفيظ فضيل الميار، الميار عبد الحفيظ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 2005، صص45-46

52- نفسه، ص46.

53- Basset (A) ; La langue bérbere , Oxford université presse , Londres ,1952,pp52-53.

54- Basset (H) ; Essai sur la littérature des berbères, imprimeur-libraire éditeur, Alger, 1920, pp09-21.

55-كان الفينيقيون هم الذين إخترعوا الأبجدية المكونة من إثنان وعشرون حرفا وكتبت من اليمين إلى اليسار، والدليل على ذلك ما وجد في ألواح أوغاريت خلال الألفية الثانية ق.م، ونصوص رأس الشمرا (حوالي 2000نص)، لكن هناك نظريات إختلفت على أصول الأبجدية (حروف الهجاء)، فنجد النظرية المصرية تقول أن الفينيقيين تعلموا الكتابة من مصر والحروف الهجائية مشتقة من الخط الهيراطيقي المصري أو الهيروغليفي من أنصارها ( إيمانويل دي روجيه)، أما النظرية البابلية فترجع الخط الفينيقي إلى الخط المسماري كأقدم وسيلة للكتابة من أنصارها ( بايزر وزيمرن)، وهناك النظرية الكريتية أو الإيجية كذلك تنسب الخط الفينيقي إلى الخط الكريتي من أنصارها ( إيفانس)، أما النظرية الموفقية فهي التي وفقت بين الأولى والثانية وتقول أن مخترعي الأبجدية الفينيقية هم المصريون القدامى، ومعظم الحروف أخذت من البابليين وعددها خمسة عشر حرفا من أنصارها ( فريديرك ديليتش) .للمزيد: حتي فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985، ص120 وينظر:

Mebarek (S.T), L'alphabet latin serait – il d'origine berbère, Edition l'harmattan, Paris, 2004, P30.

وينظر: الجبوري محمود شكر محمود، من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء، الحوار المتمدن، العدد 52، أكتوبر، 2011.

56- عباسي عبد الجبار، الكتابة الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي، دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي ناجر، رسالة ماجستير في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة الجزائر، 2004/2005، صص68-69

57- Février(J.G), Histoire de l'écriture « écriture libyque et Ibérique », Payot, Paris, 1959,PP321-327

58 - Gsell(S), H.A.A.N, T5, p101.

59- Camps (G) ; Aux origines de la bérbérie , Monuments et rites funéraires protohistoriques , Paris ,1961., p272

60- Hachid (M) ; Strabon, El-idrissi, la Guerba et un libyque plus tardif que le V$^{e}$/VI$^{e}$ siècles ? Actes du premier colloque de préhistoire maghrébine, centre national de recherches préhistoriques anthropologiques et historiques, ministre de la culture, Tamanrasset les 5,6 et 7 novembre 2007 pp 209-220, - Hachid

(M) ; les premiers berbères, Entre méditerranée, tassili et nil, Inas-yas , Alger, 2001 p107-108 .

61- Chaker (S) ; l'écriture libyco- berbère "Etat des lieux, déchiffrement et perspectives linguistique et sociolinguistique, colloque annuel de la shesl, Lyon ENS, samedi 2 février 2002, pp01- 05.

62- دوقة: إسمها القديم "توكا" (tukka)، وهي منقولة من الصيغة البونية– الليبية " ت ب ج ج " (TBGG)وأصل الاسم موروث عن "ت ب ج " (TBG) وتعني الحماية وإسمها الحالي هو دوجا (dougga) أو (Thugga)، تقع هذه المدينة غربي تونس . للمزيد ينظر:

63- Camps (G), Dougga, Ency. Ber, T XVI , 1995, PP2522-2528

64- Ghaki(M), Le Libye, Revue Tunisienne d'Archéologie (R .T .A) , N01, Tunisie, 2013, PP23-24

65- Chaker (S), Libyque: écriture et langue, Ency. Berb, V28-29, 2014.,PP4395-4409.

وينظر:

Février(J.G), Op.cit., P327

66- يذكر "هيرودوت" أن الفينيقيون الذين رافقوا "كدموس" إلى "بويتيا" تعلم منهم الإغريق الكثير من الحروف الهجائية التي لم يكونوا يعرفونها من قبل ينظر:

Hérodote, V , 60

67- قابريال كامبس، في أصول البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، صص326-332

68- Guyon, Inscriptions puniques et libyques,"dans la province de Constantine, imprimerie du gouvernement", Alger, 1854, PP09-25

69- يولي تسولي بركوفيتش، المرجع السابق، صص197-203.